الفصل الثانى : اعتقاد المؤمنين بالقرآن وحده فى القرآن

تمهيد . . . . . .

أولاً : القرآن وحده يهدى المتقين . . . . . .

ثانيًا : وكذلك كتب الله السابقة وحدها تهدى المتقين . . . . . .

ثالثًا : القرآن وحده تفصيل وبيان . . . . . .

رابعًا : وكذلك كتب الله وحدها تفصيل وبيان . . . . . .

خامسًا : والقرآن وحده هو الحكم بين المتقين . . . . . .

سادسًا : وكتب الله السابقة وحدها هى الحكم بين المتقين . . . . . .

سابعًا : والقرآن وحده السبيل لتحقيق التقوى . . . . . .

ثامنًا : والقرآن وحده هو الصراط المستقيم . . . . . .

تاسعًا : والقرآن وحده هو الموحى إلى النبى F . . . . . .

عاشرًا : وكتب الله وحدها هى الموحاة إلى الأنبياء . . . . . .

حادى عشر : والقرآن جُمِعَ فى أيام الرسول F . . . . . .

❁ ❁ ❁

الفصل الثانى : اعتقاد المؤمنين بالقرآن وحده فى القرآن :

U

من المفترض أن يكون الإنسان متحليًا بالصدق والشجاعة والصراحة أيًا كان موقعه ، مما يخوله الدفاع عن معتقده بصدق ، ويخلع عليه المصداقية أمام مخالفه وأمام نفسه . وسيكون من الثمرات الإيجابية لهذا المسلك الحميد أن يكون هذا الإنسان دومًا على قدرة واستطاعة أن يقوم بتصحيح أخطائه . **وعلى ذلك** فنستطيع أن نقول من منطلق المكاشفة والمصارحة التى تنفع جميع الأطراف إن **المؤمنين بالقرآن على قسمين** :

قسم يؤمنون بالقرآن وحده مطلقاً ، ويصدقون بكل حرف جاء به ، ويهتدون به فى كل جزئيات شريعتهم ، ويعلمون أنه محفوظ بالله ، لا يأتيه أى باطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبه يكتفون ، وهم قلة نادرة ، غير ظاهرة ، ولا يضرهم كونهم كذلك .

والقسم الآخر عبارة عن مذاهب مختلفة (كالسنة والشيعة) يؤمنون به وبغيره معه ، ويعتقدون أنه وحده غير كافي ، فيهتدون به وبغيره . وكلنا يعلم يقينًا أن هذا (الغير) مختلف عند كلٍ طائفة عنه عند الأخرى .

وهؤلاء المؤمنون بالقرآن وغيره احتجوا لمسلكهم هذا بحجج واهية هى فى حقيقتها اتهامات للكتاب ، وبالتمعن فيها فسنجدها اتهامات أيضًا لربّ الكتاب سبحانه . ونحن لا نتحدث باسمه تعالى ، ولكن سننقل الأساس الذى بنوا عليه مسلكهم ومذهبهم كمقدمة لعرض عقيدة المؤمنين بالقرآن فقط ، وإن كنت لا أعلم لهم على الأرض إلى الآن ظلاً .

يقول أصحاب مذهب القرآن وغيره : إن القرآن **يأتى** مجملاً ، **ويأتى** غيره بالتفسير ، **ويأتى** القرآن مطلقاً ، **ويأتى** غيره بالتقييد ، **ويأتى** القرآن عامًا

ويأتى غيره بالتخصيص ، **ويأتى** القرآن منسوخًا **ويأتى** غيره بالناسخ .

وواقعًا فإن هذا الغير كان عند الشيعة هو الأئمة الإثنا عشر ، وعند السنة هو الروايات الواردة عن طريق الرواة الأئمة وبالآلاف ، والتى صححها النقاد الأئمة بالآلاف ، وأجمع عليها الفقهاء الأئمة . . الخ .

وقد أشبع كل فريق أهله كتبًا ومؤلفات واستدلالات وحججًا ليسبغ على مذهبه الشرعية اللائقة والقدسية المطلوبة لتسيير جزئيات الشريعة .

وكما مرّ علينا فى الفصل المنصرم فإن كل مذهب قد حاول أن يُقَوّل آيات الكتاب مالم تقله ، وقد تجاوزنا تفصيل هذه الحقيقة فيما مضى ، وما يهمنا هنا هو أن نبين فساد ما تورك عليه أئمة الخلف فى تصوير القرآن بأنه يحتاج لغيره ، حتى أن متأخرًا كالدارمى تجرأ وبَوَّبَ فى مصنفه بابًا سماه :

" **باب أن السنة قاضية على كتاب الله** " ! !

ولم يعترض على تبويبه هذا أحد ، بل فلسفوا له قوله وبرروه . وهو الآن بين يدى ربّ الكتاب ، قد أفضى إلى ما قدم ، وسيعلم حين يُبعث من فى القبور أن للكتاب ربٌّ يحميه ، ويحاسب من يزدريه ، وهى محكمة تتضاءل بجانبها محاكم الدنيا كلها ، ولله الأمر . وسيتمنى الدارمى وأشياعه لو يعودون للدنيا ليقولوا قول الله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ . . . ﴾ **(٣٣٣)** .

وهؤلاء المؤمنون بالقرآن وغيره قالوا :

- إن القرآن تُرك بغير جمع حتى جمعه أبو بكر ، ثم عثمان .
- وظل بمنأى عن الناس حتى أرسل عثمان نسخة واحدة لكل مصر من الأمصار .

---

333 ـ سورة **(٥)** المائدة : ٤٨ .

- وتم ترتيب هذه النسخة باختيار من الجامعين .
- وبدون وجود نقطة واحدة فيه .
- أو تشكيل .
- وبحال يختلف عن مصاحف أخرى سموها بأسماء أصحابها ، تزيد وتنقص عن النسخة المعتمدة فى عدد السور ، وعدد الآيات ، وبعض الكلمات .
- ويقولون إن التنقيط والتشكيل تم بعد ذلك بسنوات عدة على يد رجل يكفره بعضهم ، ومشهور عندهم بسفك الدماء ، وضرب الكعبة بالمنجنيق .
- وأن الناس كانوا يتبارون بالآيات المختلفة شكلاً حتى إن بعضهم كان يقول لبعض : قرآنى خير من قرآنك ، وفى رواية : قراءتى خير من قراءتك .
- وأن الشجار صار بينهم ، حتى تم سحب الموجود بين أيدى الناس فحُرِق ، واعتُمِدَت نسخ عثمان غير المنقوطة أو المشكلة .
- ويقولون : إن آيات وسورًا بكاملها لم تُدرَج بالكتاب لحذفها (كما سيأتى ذكره) .
- وإن سورًا كانت تعدل سورة البقرة انكمشت لأقل من الثلث .
- ويقولون : إن الماعز أكل آيات فاختفت .
- وإن حفاظًا قُتِلوا فذهب بعض القرآن معهم .
- ويثبتون آيات فى صحاحهم (سنورد الكثير منها) مفعمة بالركاكة، والرداءة ، ويثبتونها لله تعالى .
- ويُقَسِّمون آيات الكتاب إلى ثلاثة أقسام كما قال السيوطى :

" قال الموصلي ثم سور القرآن على ثلاثة أقسام قسم لم يختلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل ، وقسم اختلف فيه تفصيلا لا إجمالا ، وقسم اختلف فيه إجمالاً وتفصيلا . . . " **(٣٣٤)** .

334 ـ انظر : الاتقان للسيوطى : (١٨٣/١) .

● والقرآن عندهم كان يُحَكُ بعضه منه بزعم أنه ليس منه .

● ويجعلون له قراءات سبع .

● وقراءات شاذة تُغَيِّر أحكامه كما قال السيوطى :

" وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف في يطهرن وقد حكوا خلافًا غريبًا في الآية إذا قرأت بقراءتين " **(٣٣٥)** .

والأمثلة كثيرة ليس هنا مجالها . وقال السيوطى :

" وقد اعتنيت في كتاب أسرار التنزيل ببيان كل قراءة أفادت معنى زائدا على القراءة المشهورة " .

ومن هؤلاء من يُجيزون العمل بالقراءة الشاذة . يقول السيوطى بنفس الموضع السابق :

" وذكر القاضيان أبو الطيب والحسين والروياني والرافعي العمل بها تنزيلا لها منزلة خبر الآحاد وصححه ابن السبكي في جمع الجوامع وشرح المختصر .

وقد احتج الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود وعليه أبو حنيفة أيضا **واحتج** على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين **بقراءته** :

" متتابعات " ، ولم يحتج بها أصحابنا لثبوت نسخها كما سيأتي " .

● وللقرآن غير ذلك أوصاف كثيرة عندهم (نكفر بها) ، ولنطالع عقيدة المؤمنين بالقرآن وحده .

❁ ❁ ❁

---

335 ـ انظر : الاتقان للسيوطى : (٢١٨/١) .

أولاً : القرآن وحده يهدى المتقين :

المؤمن بالكتاب حقّ الإيمان يُوَقِّر رَبَّه حق التوقير ، ويقدسه سبحانه عن النقص والذهول ، وما إلى ذلك . ويمد هذه الأوصاف لما يأتى منه سبحانه . وعليه فإن كتابه الكريم هو كتاب حكيم مقدس أرسله الله تعالى هدى للمتقين ، ولاحظ أنه هدى للمتقين لا للناس .

أى أن المتقين هم الذين يهتدون به كما قال ﷻ :

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

علمًا بأن التقوى هى مزيج من الإيمان الصحيح والعمل الصالح . وهو نصّ قوى فى بداية الكتاب على أنه هو المرجع لمن يريد طاعة الله سواء بالإيمان أو العمل . ويبين ذلك التوسع فى تكملة سياق الآيات :

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ **(٣٣٦)** .

فنجد أن مسائل الإيمان ذُكِرَت هنا بشيء من الإجمال ، كالنصّ على الإيمان بالغيب ، والإيمان بما أُنْزِلَ على الرسول ﷺ ، وما أُنْزِلَ من قبله ، والتيقن بالآخرة . ومسائلَ العمل الصالح ذُكِرَ منها إقامَة الصلاة ، والإنفاق فى سبيل الله ، وهو ليس بالتفصيل الكافى هنا (ولكنه سيأتى بعد) ، وإنما هو إرشاد وتنبيه على شمول الكتاب لجزئيات الطاعة .

فكيف سيكون الكتاب هدى للمتقين وهو مجمل وعام ومطلق ومنسوخ ؟!

وقال ﷻ :

---

336 ـ سورة (٢) البقرة: ٢ ـ ٤ .

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٣٧) .

وهو تأكيد لما سبق من كون الكتاب هدى وبشرى للمؤمنين .

وقال ﷻ :

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (٣٣٨) .

فبَيَّن سبحانه أن الهدى هو هداه ، وسماه بالعلم ، وهو وصف لا يشمل الروايات بالطبع التى بيَّنا فيما سبق كيف أنها ظنّ خالص ، وباعتراف أهلها ، وإنما يصدق على الكتاب المحفوظ بالله .

وقال ﷻ :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (٣٣٩) .

فبَيَّن سبحانه أن الهدى بالكتاب المحفوظ بالله .

وقال ﷻ : ﴿ هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٤٠) .

فبَيَّن تعالى أن الهدى بالكتاب المحفوظ بالله .

وقال ﷻ : ﴿ وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ

337 ـ سورة (٢) البقرة : ٩٧ .
338 ـ سورة (٢) البقرة : ١٢٠ .
339 ـ سورة (٢) البقرة : ١٨٥ .
340 ـ سورة (٣) آل عمران : ١٣٨ .

بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾ **(٣٤١)** .

وليس بعد ذلك من بيان وفى ثلاث آيات فقط :

(وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ . .) ، (أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ) ، (أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ) ، (فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ . .) .

ما هو المطلوب أن يقوله الله تعالى أوضح من ذلك ليبين أن الهدى بكتابه ؟!

ولكن الظالمون لهم قلوب لا يفقهون بها ، وعيون لا يُبصرون بها ، وآذان لا يسمعون بها ، ويوم القيامة سيعرفون أى منقلب ينقلبون .

ونكتفى بهذا الذى سقناه من أول القرآن فقط ، وفى بقية الكتاب ما يصعب حصره من آيات تدل على نفس الحقيقة ، وهى :

أن الهدى بكتاب الله ، وفقط ؛ لانعدام ذكر الهدى بسواه .

ثانيًا : وكذلك كتب الله السابقة وحدها تهدى المتقين :

فقد قال سبحانه :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ **(٣٤٢)** .

وقال سبحانه :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ

341 ـ سورة (٦) الأنعام : ١٥٥ ـ ١٥٧ .
342 ـ سورة (٢) البقرة : ٢١٣ .

لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء . . ﴾ **(٣٤٣)** .

وقال سبحانه :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ **(٣٤٤)** .

وقال سبحانه :

﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ **(٣٤٥)** .

وقال ﷻ :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ **(٣٤٦)** .

وهكذا ستستمر الآيات تتتالى وهى تنطق بأن الهدى كما هو بالقرآن عندنا فقد كان بالكتب السابقة عليه كالتوراة والإنجيل .

حسنًا فهذه حقيقة إذن لن يستطيع أحد إنكارها لكنهم سيحتالون عليها ويمكرون بها بقولهم : إن من هذا الهدى النصّ بالكتاب على الروايات ، وبالتالى يكون الهدى هو الكتاب وغيره . وهى مقولة خائبة ناقشناها بأول هذا الكتاب ، ورأينا كيف يذهبون بمعانى الآيات على هواهم ، ويغمطون النصوص الواضحة التى ذكرنا بعضها هناك وسنذكر

343 ـ سورة (٥) المائدة : ٤٤ .
344 ـ سورة (٥) المائدة : ٤٦ .
345 ـ سورة (٦) الأنعام : ٩١ .
346 ـ سورة (٥) المائدة : ٤٦ .

بعضها هنا . ولكن الحقيقة هى الحقيقة ، مُرَة عند من يكرهونها .

ولن يأتوا بنصّ واحد فيه كلمة رواية ، أو راو ، أو حديث النبى ، أو حديث الراوى ، أو السنة القولية ، أو السنة التقريرية . . الخ .

والسبب بسيط جدًا ، وهو أن النبى ﷺ لم يكن له سنة تخالف الكتاب أو تزيد عليه .

ومما يزيدهم من قولنا هذا نفورًا هو ما ظهر عند استعراض بعض مذهبهم فى القرآن وفي بعض جزئيات مذهبهم عمومًا من فساد لا يخفى ، إضافة لما سيأتى .

ولنبدأ فى بيان فساد علتهم فى اللجوء للروايات : وهى إجمال القرآن :

ثالثًا : القرآن وحده تفصيل وبيان :

نعم القرآن والشكر لله وحده تفصيل وبيان ، يقول ﷻ :

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ **(٣٤٧)** .

ويقول سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ **(٣٤٨)** .

ويقول أيضًا تبارك وتعالى :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ

347 ـ سورة (١٠) يونس : ٣٧ .
348 ـ سورة (٧) الأعراف : ٥٢ .

الْمُمْتَرِينَ ﴾ **(٣٤٩)** .

ويقول ﷻ :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ **(٣٥٠)** .

ويقول سبحانه :

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ **(٣٥١)** .

ويقول تعالى :

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ **(٣٥٢)** .

فهل هو تفصيل لشيء دون شيء ، أم أنه تفصيل كل شيء ؟!

والجواب : إنه تفصيل كل شيء كما فى قوله ﷻ من سورة يوسف الصديق عليه السلام :

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ **(٣٥٣)** .

وليس كما روج أهل الرواية إذن ، ولكن هنا إشكال :

● **إذا كان الكتاب كما هو هنا تفصيل لكل شيء فكيف يكون كذلك ونحن لا نجد فيه التفاصيل التى بين أيدينا ؟!**

والجواب : أن الكتاب يُفْتَرَضُ فيه أن يكون هو الحاكم على غيره ،

---

349 ـ سورة (٦) الأنعام : ١١٤ .
350 ـ سورة (٤١) فصلت : ٤٤ .
351 ـ سورة (١١) هود : ١ .
352 ـ سورة (٤١) فصلت : ٣ .
353 ـ سورة (١٢) يوسف : ١١١ .

وأن يكون هو المعيار للحكم على أعمال العباد ، لا أن تكون موروثات الناس هى الحاكم عليه . وبالتالى فإذا وجدنا تفاصيل تضاده ، أو تزيد عليه فيقال عنها إنها هى الزائدة ، لا أن يُقال عنه إنه هو الناقص .

وليس كما قال الرواة : إن رواياتهم مكملة للقرآن .

ومعلوم أن الابتداع فى الدين يغير الكثير من ملامحه ، قال تعالى :

﴿ . . وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ **(٣٥٤)** .

❑ ● فعندما يقول ﷻ مثلاً :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ **(٣٥٥)** .

فإذا ما حدث وكان هناك أسرى فستكون المعاملة معهم على ثلاثة محاور :

أولها : الإحسان إلي الأسير فى النواحى الإنسانية ، ولو كان المسلمون فى حالة غير متيسرة :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٣٥٦) .

فأدرج سبحانه الأسير مع المسكين واليتيم ، من حيث إن الثلاثة يشتركون فى قلة الحيلة ، واحتياجهم لمن يعولهم حتى تزول عنهم صفتهم ، فيبلغ اليتيم أشده ، ويخرج المسكين من عوزه ، ويُحرر الأسير .

ثانيها : الإحسان إلي الأسير فى النواحى المعنوية ، وذلك بوعظهم فى أنفسهم بالتى هى أحسن ، وبالحكمة ، ومواستهم فيما أُخِذ منهم ،

354 ـ سورة **(٥٧)** الحديد : ٢٧ .
355 ـ سورة **(٨)** الأنفال : ٦٧ .
356 ـ سورة **(٧٦)** الإنسان : ٨ .

وتبشيرهم بتعويض الله لهم إن أحسنوا لأنفسهم ، إضافة لمغفرة الله لهم .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ **(٣٥٧)** .

ثالثها : كيفية التصرف فيه ، وهو بين واحدة من اثنتين وهما : المنّ ، أو الفداء :

﴿ فَإِذا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ **(٣٥٨)** .

لم يأذن الله تعالى بتعذيب الأسير ، ولم ينصّ عليه بكتابه .

لم يأذن الله تعالى باستعباد الأسير ، ولم ينصّ عليه بكتابه .

لم يأذن الله تعالى بقتل الأسير ، أو الإجهاز على الجريح ، ولم ينصّ عليه . وما رواه البخارى وغيره من أهل الرواية فى هذا الباب هو كذب محض وافتراء على الله ورسوله **(٣٥٩)** .

---

357 ـ **سورة (٨)** الأنفال : ٧٠ .

358 ـ **سورة (٤٧)** محمد : ٤ .

359 ـ بوب البخارى بصحيحه : " **باب قتل الأسير وقتل الصبر** " .
وقتل الصبر أن يُمسك بحي ثم يرمى بشيء حتى يموت . وأصل الصبر الحبس .

ويقول **ابن حجر** (الشافعى) : " قوله باب قتل الأسير وقتل الصبر في رواية الكشميهني قتل الأسير صبرا وهي أخصر أورد فيه حديث أنس في قتل بن خطل وقد تقدم شرحه في أواخر الحج وقد تقدم أن الإمام يتخير متبعا ما هو الأحظ للإسلام والمسلمين بين قتل الأسير أو المن عليه بفداء أو بغير فداء أو استرقاقه " .

ويقول أيضًا : " وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه أن **رسول الله** ﷺ **قتل يوم بدر ثلاثة صبرا** أخرجه أبو داود في المراسيل ورجاله ثقات " ، إلى أن يقول :

" **وهذا دليل على جواز قتل الصبر** " ، إلى أن يقول :

" وقال أبوحنيفة : **لايجوز المفاداة ويتعين إما قتل الأسير أو استرقاقه** . وزاد مالك أو مفادلته بأسير . وقال صاحبا أبي حنيفة يجوز المفاداة بغيره أو بمال أو قتل الأسير أو استرقاقه " وانظر : فتح البارى : (١٦٥/٦) ، وسبل السلام : (٤ / ٥٥) .

ويقول **الجصاص** (الحنفى) فى أحكام القرآن :

" ذكر أقسام القتل وأحكامه : القتل ينقسم إلى أربعة أنحاء : واجب ، ومباح ، ومحظور ، وما ليس بواجب ولا محظور ولا مباح " ، ثم يقول بعدها : " وكذلك قتل أهل الحرب إذا صاروا في أيدينا ، فالإمام مخير بين القتل والاستبقاء ". ويقول أيضًا : " **اتفق فقهاء الأمصار على جواز قتل الأسير** لا نعلم بينهم خلافا فيه وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في قتله الأسير " !

بل ووصل الأمر إلى أن قال : " . . وعن أبي موسى أنه **قتل دهقان السوس بعدما أعطاه الأمان على قوم سماهم ونسي نفسه فلم يدخلها في الأمان فقتله** " . ثم يقول بعدها : " فهذه آثار متواترة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في جواز قتل الأسير وفي استبقائه واتفق فقهاء الأمصار على ذلك . . " .

ويقول **ابن العربى** (المالكى) فى أحكام القرآن بعد أن ساق قوله تعالى (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) : " فيها أربع مسائل : المسألة الأولى : المعنى حيث أخذتموهم ، **وفي هذا دليل ظاهر على قتل الأسير** . . . " ! ! ! ويقول : " المسألة الثالثة في المراد بقوله ﷻ : (ضَرْبَ الرِّقَابِ) قولان : أحدهما أنه القتال ؛ قاله السدي . الثاني : **أَنَّهُ قَتْلُ الْأَسِيرِ صَبْرًا** . والأظهر أنه في القتال ، وهو اللقاء ، **وإنما نستفيد قتل الأسير صبرا من فعل النبيَ** ﷺ له وأمره به " .

ويقول **العراقى** (الشافعى) فى طرح التثريب (المتن) : " أن رجلاً جاء رسول الله فقال : " يا رسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال رسول الله ﷺ اقتلوه. قال مالك قال ابن شهاب : (ولم يكن رسول الله ﷺ يومئذ محرما) ولمسلم من حديث جابر (وعليه عمامة سوداء بغير إحرام) " . وفى الحاشية : " (الثانية عشرة) **استدل به البخاري وغيره على قتل الأسير صبرا** وهو استدلال واضح . واستدل به أبو داود على قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام . . " .

ويقول **ابن قدامة** (الحنبلى) بالمغنى : " ومن أسر أسيرا ، لم يكن له قتله ، حتى يأتي به الإمام ، فيرى فيه رأيه ؛ لأنه إذا صار أسيرا ، فالخيرة فيه إلى الإمام ، وقد روي عن أحمد كلام يدل على إباحة قتله ، فإنه قال : لا يقتل أسير غيره إلا أن يشاء الوالي . فمفهومه أن له قتل أسيره بغير إذن الوالي " إلى أن يقول : " وإن امتنع من الانقياد معه ، لجرح أو مرض ، فله قتله أيضا . وتوقف أحمد عن قتله . والصحيح أنه يقتله ، كما **يذفف على جريحهم** ، ولأن تركه حيا ضرر على المسلمين ، وتقوية للكفار ، فتعين القتل "

وفى الموسوعة الفقهية لوزارة الأوقاف الكويتية **:** " . . وإذا كان هناك خوف الفرار فيصح حبس الأسير من غير تعذيب ، وإذا رجي أن يدل على أسرار العدو جاز تهديده وتعذيبه بالقدر الكافي لتحقيق ذلك ، ودليل ذلك : ما روي عن الرسول ﷺ (أنه أمر الزبير بن العوام بتعذيب من كتم خبر المال ، الذي كان ﷺ قد عاهدهم عليه ، وقال له : أين كنز حيي بن أخطب ؟ فقال : يا محمد ، أنفذته النفقات والحروب ، فقال : المال كثير والمسألة أقرب ، وقال للزبير : دونك هذا. فمسه الزبير بشيء من العذاب ، فدلهم على المال) . لكن إذا كانوا يعذبون أسرى المسلمين يجوز معاملتهم بالمثل ، لقوله تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) وقوله أيضا (والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) قال الباجي : لا يمثل بالأسير ، إلا أن يكونوا مثلوا بالمسلمين . وقال ابن حبيب : قتل الأسير بضرب عنقه ، لا يمثل به، ولا يعبث عليه " .

ويقول **المرداوى** (الحنبلى) فى الإنصاف : " قوله (ومن أسر أسيرا لم يجز قتله حتى يأتي به

الإمام ، إلا أن يمتنع من السير معه ولا يمكنه إكراهه بضرب أو غيره) هذا المذهب بهذين الشرطين . قال في الفروع : جزم به على الأصح . وقدمه في الشرح ، والمحرر . وعنه يجوز قتله مطلقا . وتوقف الإمام أحمد في قتل المريض. وفيه وجهان . وأطلقهما في الفروع ، والمذهب ، ومسبوك الذهب . والصحيح من المذهب : جواز قتله . قاله المصنف ، والشارح . وصححه في الخلاصة . " .

ويقول **زكريا الأنصارى** (الشافعى) فى شرح البهجة : " وللإمام ولو بنائبه (فقط) أي : لا الآحاد (قتل الأسير الكامل أي : رجل ليس رقيقا) أي : حر (عاقل) بضرب رقبته " .

ويقول **السرخسى** فى المبسوط : (١٠ / ٣٦ ، ١٢٧) : " ثم يقتل الرجال لما بينا من جواز قتل الأسير قبل تعين الملك فيه إذا كان فيه نظر . وفي هذا الموضع لو لم يقتلهم احتاج إلى تركهم فيرجعون إلى دار الحرب حربا على المسلمين فكان النظر في قتلهم ويترك النساء والصبيان في موضع يأمن أيدي المشركين أن تصل إليهم "

ويقول : " وإذا أخذ رجل حر أو عبد كان يقاتل وكان عسكر أهل البغي على حاله قتل لأنه ممن يقاتل عبدا كان أو حرا وقد بينا جواز قتل الأسير " .

وبوّب **أبو داود** بسننه : " **باب قتل الأسير ولا يُعْرَض عليه الإسلام** " . وقال في فتح البارى : " وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى جَوَاز قَتْل الْأَسِير مِنْ غَيْر أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَام ، تَرْجَمَ بِذَلِكَ أَبُو دَاوُدَ " .

ويقول **الطبرى** بتفسيره (٢٦ / ٤١) : " عن قتادة قوله فإذا لقيتم الذين كفروا إلى قوله وإما فداء كان المسلمون إذا لقوا المشركين قاتلوهم فإذا أسروا منهم أسيرا فليس لهم إلا أن يفادوه أو يمنوا عليه ثم يرسلوه فنسخ ذلك بعد قوله فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم أي عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذكرون . حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري قال كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه في أسير أسر فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا فقال أبو بكر اقتلوه لقتل رجل من المشركين أحب إلي من كذا وكذا " .

ويقول **ابن رشد** (المالكى) فى بداية المجتهد (١ / ٢٧٩) : " الفصل الثالث في معرفة ما يجوز من النكاية في العدو . وأما ما يجوز من النكاية في العدو فإن النكاية لا تخلو أن تكون في الأموال أو في النفوس أو في الرقاب أعني الاستعباد والتملك . فأما النكاية التي هي الاستعباد فهي جائزة بطريق الإجماع في جميع أنواع المشركين أعني ذكرانهم وإناثهم وشيوخهم وصبيانهم صغارهم وكبارهم " . ويقول بعدها : " وأما هو عليه الصلاة والسلام فقد قتل الأسارى ما موطن وقد منّ واستعبد النساء . وقد حكى أبو عبيد أنه لم يستعبد أحرار ذكور العرب وأجمعت الصحابة بعده على استعباد أهل الكتاب ذكرانهم وإناثهم " .

ويقول **الجصاص** (الحنفى) فى المختصر : " وقد روي عن ابن عمر أنه دفع إليه عظيم من عظماء اصطخر ليقتله فأبي أن يقتله وتلا قوله فإما منا بعد وإما فداء وروي عن الحسن وعطاء وسعيد بن جبير أنهم كرهوا قتل الأسير لقوله تعالى فإما منا بعد وإما فداء . والشافعي يرى قتل الأسير ولا يكرهه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قتل عقبة بن أبي معيط و النضر بن الحارث بعد الأسر ، وهذا لا يخلو إما ان يكون منسوخة فلا يعمل بها أو ثابتة فلا يتعداها " ، وانظر : مختصر اختلاف العلماء : (٣ / ٤٧٩) .

❑ ● وعندما يقول ﷻ مثلاً :

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ ﴾ .

فقد بَيَّن سبحانه أن مساحة الاختيار هى محل التكليف ، وعليها يقع الثواب والعقاب ؛ فيُترك للإنسان حرية الاختيار ثم يُحاسب على هذا الاختيار . ومن المعلوم لزومًا وعقلاً أن الإكراه لا يعود إلا على المظهر أما الجوهر فليس للمُكره سلطة عليه ، ولا يعرف أحد بحقيقة ما فيه إلا الله . ويكون معنى (لَا إِكْرَاهَ) أى نفى الدين الإجبارى . ثم إن هذا الحكم قد صُحب بالعلة (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ) ؛ فالإسلام قد فرّق بين الحق والباطل ، وبين الرشد **(٣٦٠)** والغى ، وأصبح فى وسع الناظر أن يُفرِّق هو أيضاً بين الرشد والغى ، وأن يختار على بينة . وعليه فلا قيمة تُذكر عند العقلاء لما رواه أهل الحكايات من وجوب قتل المرتد ، وحكم الفتح الإسلامى فرض الكفاية ، وما إلى ذلك من أوجه الإكراه على الدين .

ويقول ﷻ مستثنيًا مَن أكره على الكفر مِن الحكم عليه به :

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَاذِبُونَ ۞ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾

إذ إن الإكراه لا قيمة له والعهدة على ما يعتقد القلب . وقال ﷻ :

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ . . إلى قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ . وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، ولم يقل : إلا

360 ـ والمولى تعالى شرع هذا الدين وفيه مصالح العباد ، فكل ناظر إلى محاسن الشريعة ، وقبائح البعد عنها استطاع أن يميز الطريق الواجب عليه اتباعه ، لا سيما مع وجود الوعد والوعيد ، والشواهد والمعجزات ... الخ ، فعلى هذا يقع الاختيار . ويتماشى كل من سبق مع العدل والجزاء والثواب والعقاب والحكمة ... الخ . ولو كان الإكراه على الدين جائز لكان الكلام على الثواب والعقاب والميزان والكتاب ، واليوم الآخر بتفاصيله... إلى آخره هو نوع من أنواع العبث والهزل الذى لا يليق بعظمة وجلال رب العالمين وقدسية أحكامه وحكمة شريعته . فهذه الآية ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ هى ومثيلاتها لهى أكبر دليل على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما يدعى الحَاقدون والحاسَدون والمستشرقون وأهل الباطل بمختلف مسمياتهم .

بالقتال أو الإكراه . وقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

إذ إن هذا غير حادث ، وبالتالى فهو عكس مشيئته سبحانه . وقال ﷻ :

﴿ قُلْ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۞ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ ، الذى يوضح أن الاختيار حُرٌ (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ).

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

والمعنى هنا هو : إنك يا محمد لن تهدى من تحب بأن تُدخله فى الإسلام .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . . . ﴾ . وقال أيضًا :

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

ليوضح أن الاختلاف سيظل إلى يوم القيامة .

وقال ﷻ : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾ موضحًا أن السيطرة غير مسموح بها . وقال ﷻ :

﴿ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ ، و ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ .

ويتضح منها أن من تولى فهو حرٌ فيما يفعل .

وقال ﷻ وهو ينقل قول نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ .

إذ إن هذه الآية كبقية الآيات تقرر أن الإنسان لا يلزمه ما يأتى عن طريق الإكراه .

وقال ﷻ ناقلاً قول قوم شعيب : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ، وقول شعيب لهم ﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ ؟! ليُبَيِّن أن الإكراه لا يفيد .

وقال ﷻ : ﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ .

مخاطبًا نبيه ﷺ ليصدع بهذا التشريع الربانى ، وليجرى مجرى الثوابت ، فيقول له سبحانه : يا محمد قل لمن خلفك من الناس أنتم أحرار فيما تعتقدونه ، فمن شاء منكم أن يؤمن بعد أن جاءه الحق من ربه ﴿الحق من ربكم﴾ فليؤمن ، ومن شاء أن يكفر فليكفر ، وعلى هذا الاختيار الحر يترتب الجزاء من ثواب وعقاب ، والعقاب شديد . وبقية الآية يقول فيها سبحانه :

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

وهذا من رحمة الله تعالى بعباده أن صور لهم العذاب وأهواله بدقة حتى يكاد المستمع أو القارئ أن يتصوره حادثاً أمامه فيحذر هذا العذاب ويرغب فى الثواب ، وتحدث له النجاة . إذن فالآية ليست لتفويض الحرية فى الاعتقاد تماماً ، وإنما قيدت هذه الحرية بزمان . . وهو العمر المتاح فى هذه الدنيا ، وقيدته بالنتيجة المترتبة على هذه الحرية . وهى نص على حرية الاختيار والاعتقاد فى الدنيا **(٣٦١)** . ونصّ على أن الإيمان والكفر متعلقان بالمشيئة .

وقال ﷻ : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ

361 ـ وقد فسر القاضى البيضاوى الآية هنا تفسيراً عجيباً يستحق أن يُحكم عليه فيه بغرامة . يقول القاضى فى تفسيره معلقاً على الآية : " وهو لا يقتضى استقلال العبد بفعله ، فإنه وإن كان **بمشيئة فمشيئته ليست بمشيئته** " وانظر تفسير البيضاوى : (١٠/٢) .

عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ ، ولكنه سبحانه لن يُنزل عليهم هذه الآية فالإكراه ممتنع !

وقال ﷻ : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ ﴾ .

ومثل ذلك قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ .

وكذلك الآيات ٩٢ من سورة المائدة ، و ١٢ من سورة التغابن، و ٥٧ من سورة هود ، وغير ذلك الكثير من الآيات . وقال ﷻ :

﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وهو سؤال استنكارى يفيد استنكار الإكراه . وقال ﷻ :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۞ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الذى يوضح أنه يوجد ابتلاء وليس إكراه ، ولكن القوم لا يُفَرِّقون !

﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴾ .

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ **(٣٦٢)** ، فقال سبحانه (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) ، (وَمَنْ أَرَادَ) ، وليس " وهو مُكرَهٌ ، أو : ومن أُكرِه " !

والآيات فى إفادة نفس المعنى يضيق بها المقام .

فهل بعد كل هذا نصدق كلام الرواة بأن هناك أمراً من الله لرسوله محمد بقتل الناس حتى يسلموا ، ولعيسى ليُكره الناس ؟!!

وأين هذا الأمر فى القرآن الذى قال عنه المولى جلّ وعلا ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ؟!

٣٦٢ ـ سورة (١٧) الإسراء : ١٩ .

والأهم من ذلك هو : أين تطبيق ما كَذبوه ؟ فمتى ، وأين أجبر النبى F الناس على الإسلام ؟ ومن هم هؤلاء ؟

وهل هذا الحكم باق إلى يومنا أم نسخ (كما قالوا) قبل العمل به ؟! وهل يُنسخ حكم قبل العمل به ؟

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ .

فبما أن الإكراه يتعلق بالمظهر فسيكون بالتالى غير مفيد ، لأنه لا يغير شيئاً مما هو بقلب المُكرَه . ويكون تصديق هذه الأخبار الفاسدة يعنى أن المطلوب من المسلمين هو أن يكرهوا الكفار على النفاق . إذ إن المنافق يوافق الصالحين فى ظاهرهم ، ولكن قلبه يوافق الكافرين وهذا ـ كما هو واضح ـ كلام قبيح ، قبح الله من وضعه ومن روج له .

ثم هل يذم الله تعالى النفاق والمنافقين ، والخداع والمخادعين ، ثم يدعو المسلمين إلى إعداد هؤلاء المنافقين ؟!

وهل يدعوهم ﷻ لإعداد المخادعين ليخدعهم ؟! . . **سبحانك هذا إفك عظيم**.

إرادة الله تعالى تبع لإرادة الإنسان :

ولا نبالغ إذا قلنا : إن مشيئة الله تعالى تبع لمشيئة الإنسان فى اختياره . يقول تعالى : (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا) ليُبَيِّن سبحانه تعلق الأمر بالمشيئة !

وكذلك فى قوله ﷻ : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ ، وقوله ﷻ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۞ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ .

فلما شاء هؤلاء الاستقامة ، والهدى وسلوك سبيل الله قال تعالى إنه زادهم مما اختاروه ، وسعوا إليه :

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ ، و ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ ، و ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ .

ولما شاء الطرف الآخر الضلالة ، والزيغ وسلوك سبيل الظالمين قال تعالى إنه زادهم مما اختاروه ، وسعوا إليه :

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً ﴾ ، و ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ، و ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدًّا ﴾ ، و ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

إذن فقضاء الله هنا كان تبعًا لاختيار الناس ، فكيف سيقول الله عن نفسه ذلك بكتابه ، ثم يقول لرسوله شيئًا مختلفًا تمامًا ينقض ما قرره كعقيدة ثابتة للناس ؟!

ثم إن هؤلاء قد جهلوا حقيقة القتال فى الإسلام ، ومن ذلك :

القتال فى الإسلام قتال دفاعى فقط :

فقد قرر المولى سبحانه بعض الحقائق التى غابت عن أهل الحكايات وذلك كقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ .

فبَيَّنَ سبحانه أن كفرة أهل الكتاب (لا مؤمنوهم) والمشركين هم شر البرية ، ثم قال عنهم بعد :

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ .

إذن فالبغض شديد حتى إنهم سينقَضّون على المؤمنين لإهلاكهم :

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

فهؤلاء وأمثالهم لا يوجد عند بعضهم ما يمنعهم من التعرض

للمسلمين بالأذى والإهلاك لو استطاعوا ؛ فطالما تمكنوا من قتال المسلمين وظنوا أن الغلبة قد تكون لهم فسيقومون بالمحاولة تلو الأخرى :

﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ﴾ .

ثم هم بدأوا أول مرة ، وحاربوا الرسول :

﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

ومن هذا المنطلق فقد جاء الأمر الإلهى والتشريع الربانى بقتال الكفار الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وذلك لمنع أذاهم أن يصل إلى المسلمين أو إلى غيرهم .

فالقتال هنا إنما شُرع لضمان حرية الاختيار للجميع فهى لا تتعارض مع الآية (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين) بحال . ولذا نجد المولى سبحانه يقول فى موضع آخر : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ) ، وهو ينضوى تحت الحكمة الربانية : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) .

والقتال هنا كان من لوازم حدوث التعادل بين الفرقاء ومن لوازم حياة الجميع . فهؤلاء لا يوجد عند الكثير منهم أية موانع تمنعهم من إيذاء غيرهم بغية القضاء عليهم أو جعلهم توابع لهم ولملتهم . وقد قال المولى سبحانه لعباده المؤمنين :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

فسمى سبحانه القتال الذى دعا إليه المؤمنين أنه محيى لهم بعكس ظاهره لأنه فيه الدفاع عن الجميع .

والقتال فى جميع الأحوال هو قتال دفاعى بغرض ضمان تحييد الدعوة وكف الأذى لكى يتمكن كل عابد من العبادة فى أمان ، ولكى

تتضح الرؤية أمام الناظر . وبذلك يتم الوعد الحق الذى وعده الله لعباده الصالحين : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) .

والاستخلاف هنا هو إزاحة البعض ووضع آخرين مكانهم **(٣٦٣)** .

---

٣٦٣ ـ ونحن نرى أن شريعة رب العالمين قد شرعت **القتال** لتحافظ للإنسان على نفسه ودينه وعقله ونسله، وماله **للإبقاء على كلمة التوحيد التى من أجلها كان الإنسان .**

ولما كانت الآية قاضية على حجة مدعى الإكراه على الدخول فى أى دين ما . ولما كانت القلوب (العقول) لا سبيل لأحد عليها ، فلا يملك أحد منها إلا الظاهر فقط ، ولما كان الظاهر لا فائدة منه ترجى ، فقد اضطر العديد من الخلف من أهل الحديث إلى الإقرار بذلك ؛ فقالوا : وما فائدة دين جاء بالقهر والجبر والقلب يرفضه ؟!

ولنستعرض الآن ما جاء فى هذه الجزئية بتراث علماء أهل الحديث الذين يُصيبون أحيانًا (على سبيل التناقض) **وإن شاب كلامهم الخطأ الكثير أيضًا :**

١ـ البيضاوى : " ﴿لا إكراه فى الدين ﴾ إذ الإكراه فى الحقيقية إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه ، ولكن ﴿ قد تبين الرشد من الغى﴾ تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية . والكفر غىّ يؤدى إلى الشقاوة السرمدية ، والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والنجاة ، **ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء** " اهـ .

ويقول أيضًا : " ﴿ أفانت تكره الناس ﴾ بما لم يشأ الله منهم ﴿ حتى يكونوا مؤمنين ﴾ . وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء وإيلاؤها حرف الاستفهام للإنكار ، وتقديم الضمير على الفعل **للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل ، فلا يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض عليه** " **وانظر : تفسير البيضاوى** : (١٣٤/١) . **(٦٢٧/٢)** ، (٤٤٧/١) .

٢ـ أبو حيان الأندلسى : يقول أبو حيان (ست ٧٤٥ هـ) : " ونحوه قوله ﴿ ولو شاء ربك لأمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ أى : لو شاء لقسرهم على الإيمان ، **ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار** ، والدين هنا ملة الإسلام واعتقاده . . " ، حتى قال : " وبعثة الرسول ﷺ الداعى إلى الإيمان ـ **هذه الجملة كأنها كالعلة لانتفاء الإكراه فى الدين لأن وضوح الرشد واستبانته تحمل على الدخول فى الدين طوعاً من غير إكراه** " **وانظر : تفسير أبى حيان** المسمى بالبحر المحيط : (٢٩٢/٢) اهـ .

٣ـ ابن كثير : يقول ابن كثير : " **أى لا تكرهوا أحداً على الدخول فى دين الإسلام** فإنه بيِّن واضح جلى دلائله وبراهينه **لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه** بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينةٍ ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه **لا يفيده الدخول فى الدين مكرهاً مقسوراً** " **انظر : تفسير المحدث ابن كثير** .

قلت : والمصيبة أنه عاد وتناقض وأفرد فصلاً بنفس المجلد من كتابه ليبين فيه بزعمه أن عيسى سيكره الناس على الإسلام !

ثم إن هذا القتال الدفاعى الذى وضحته الآيات قد سبقته دعوة لطيفة هادئة حسنة : (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) .

وإن العجب من أهل الحشو ليزداد مع كل بيان نورده هنا ، وليس هناك أعجب من قولهم هنا بنسخ آية السيف للآية (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين)، بينما هى (بفرض وجود النسخ بمعناه الوهمى عندهم) قد جاءت معللة كما هو واضح فيها (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ) ، فكأنى بهم يقولون :

نُسخت الآية واختلط الرشد بالغى !

ونفس الذى قلناه هنا فى تفنيد عقيدة الإكراه فى الدين هو الذى يُفَنِّد عقيدة قتل المرتد أو إكراهه على العودة فى أية ملة . بل إن الله تعالى ذكر الارتداد فى كتابه فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ . و :

﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

فبَيَّن سبحانه سبب وعاقبة الارتداد ولم يُنشيء حكمًا دنيويًا بالقتل أو التعذيب أو الاستتابة . . الخ كما افترى الدمويون . وقال سبحانه :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ . . ﴾ .

فهو سبحانه هنا يخاطب المؤمنين يُرَغبهم بالتمسك بدينهم ، إذ إنه سبحانه يُحبهم كما يُحبونه ، فإذا حدثت الردة ، فسيستبدلهم الله تعالى بقوم آخرين يحبهم ويحبونه ، ولم يذكر سبحانه أية عقوبة دنيوية لفاعل ذلك كما زعم المؤمنون بالقرآن وغيره .

وقال سبحانه : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاس أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ولم يذكر سبحانه أية عقوبة دنيوية لفاعل ذلك كما زعم المؤمنون بالقرآن وغيره . وإنما فتح لهم باب التوبة لا القتل . واستثنى من قبول التوبة الذين تعمقوا فى الردة ؛ فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الضَّالُّونَ ﴾ .

وأيضًا لم يوقع عليهم عقوبة دنيوية كما زعم المؤمنون بالقرآن وغيره . وكذلك قال تعالى :

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ .

الذى يُبَيِّن نصًّا أن عقوبة الله تعالى للذين كفروا بعد إسلامهم ثم لم يتوبوا فسيعذبهم الله تعالى بأقداره لا بأحكامه فى الدنيا ، ومعلوم أن العذاب غير القتل !

ثم إنه تعالى قال : يتوبوا ، ولم يقل : يستتابوا ، وبينهما فرق واضح . والتوبة غير مشروطة بمدة ، والاستتابة شرطها المؤمنون بالكتاب وغيره بأيام ثلاثة .

❑ ● **وبين سبحانه أن كل ما حرمه هو بالكتاب** ، فقال ﷻ :

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ **(٣٦٤)** .

فدل النصّ على أن المحرم مفصل ، وغير المفصل ليس بحرام ، وبدهى أنه مفصل بالذى قال عنه سبحانه إنه تفصيل لكل شيء . وعليه فإن تحريم الذهب والحرير مثلاً هو أمر مخترع ومبتدع ، وطاعة ليست لله العلىّ ، لاسيما إذا انتبهنا لقول الله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ **(٣٦٥)** .

● ومعلوم أن الذهب والحرير خالصين للمؤمنين يوم القيامة ، يقول تعالى :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ **(٣٦٦)** .

﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ **(٣٦٧)** .

ولا يُعقل بالطبع أن يُبيح الله لعباده المتقين فى جنان الرحمن المنكر والحرام فى الدنيا .

---

364 ـ سورة (٦) الأنعام : ١١٩ .
365 ـ سورة (٧) الأعراف : ٣٢ .
366 ـ سورة (٣٥) فاطر : ٣٣ .
367 ـ سورة (٣٥) فاطر : ٣٣ .

وأسمع بعض المؤمنين بالروايات يقول :

قد حَرَّمّ الله الخمر فى الدنيا ، وأباحها للمتقين فى الجنة لقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ **(٣٦٨)** .

وقوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ . . ﴾ **(٣٦٩)** .

فغفل القائل المتحفز عن أن خمر الآخرة ليست من التى ذهب إليها فكره ، وطار إليها خاطره ، وإلا فمعنى خيالك أن الجنة المطهرة قد تحولت لحانة ، أو خمارة تأوى جماعة من المساطيل .

إن خمر الآخرة ليس بلاك أند هوايت ، أو جن ، أو فودكا، أو عرق ونبيذ ، وإنما كما قال عنها ﷻ :

﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ . . ﴾ **(٣٧٠)** .

فهى إذن لذة للشاربين ولا تُسكرهم مهما شربوا منها ، يقول ﷻ :

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ ۞ بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۞ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ **(٣٧١)** .

فقد جمعت خمر الجنة مع كونها لذة للشاربين كونها لا غول فيها .

وهو توضيح لكونها لا تُذهب العقول . ويوازيها فى الدنيا العصائر

---

368 ـ سورة (٥) المائدة : ٩٠ .
369 ـ سورة (٤٧) محمد : ١٥ .
370 ـ سورة (٣٥) فاطر : ٣٣ .
371 ـ سورة (٣٧) الصافات : ٤٥ ـ ٤٧ .

المخمرة كالتى يتناولها الصائمون فى إفطارهم من مشمشية ، وقراصيا ، وبلح مخمر فى اللبن أو غيره .

إذن فبنصّ القرآن الذهب حلال للرجال ، وبنصّ أحاديث الرواة الذين لم ينصّ الله عليهم ولم يزكهم ، ولم يقل إنه سيرسل معهم دينًا فهو حرام !

● وعلى الناصح أن يُفكر جيدًا : من سيعبد ويطيع ؟!

مع استحضار قول الله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ **(٣٧٢)** .

مما يدل على أن الأمور لن تمر بسلام بناءً على : كنت أحسب وأظن، بنفس الوقت الذى جاء فيه الكتاب بكل التفاصيل اللازمة .

● والعجيب أن القوم يتهمون الكتاب بنقص التفاصيل ، ثم إذا جئناهم بمثل هذه التفاصيل اتهمونا بالردة والجهل ، وحَكَّمُوا تفاصيلهم هم المبتدعة فى نصوص الآيات .

وبالتالى نستطيع أن نخلص إلى أن التفاصيل غير الموجودة بالكتاب غير مطلوبة ، أو تكون التفاصيل موجودة بالكتاب ولم يدرسها ويستخرجها أحد . ولكن فى جميع الأحوال ينبغى للمؤمن أن يُذْعِن لكلام الله ، ويستمع له جيدًا وهو يقول ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

ثم إن هذه الحقيقة تكررت بالكتاب ؛ فيقول سبحانه :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ **(٣٧٣)** .

---

372 ـ سورة (١٨) الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤ .
373 ـ سورة (١٦) النحل : ٨٩ .

ودون خوض فى التفاصيل ، نقول بكل ثقة :

إن الكتاب تفصيل كل ما يحتاج إلى تفصيل ، وتبيان كل ما يحتاج لتبيان ، ونحن ندعو المشتغلين بالروايات فاسدةِ التأصيل والتنظير إلى الاجتهاد فى تدبر الكتاب وحده لاستخراج التفاصيل الدقيقة للأحكام ، تعبدًا بقول العلىّ الولىّ :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ **(٣٧٤)** .

بعد أن ضاع عمرنا ونحن ندرس تلال وجبال الروايات الفاسدة ، ونحفظ الفرق بين المقطوع والمنقطع ، والفرق بين الشذوذ وزيادة الثقة ، وتعقب الرواة ، وجمع الكتب السوداء ، والزرقاء ، وعلى أحسن الأحوال صفراء !

ونسأل الله المغفرة والتجاوز عن آثام التعبد بروايات المذاهب والتفقه بها . إنه بالإجابة جدير ، وعلى تثبيتى على كتابه قدير .

وكتابى هذا هو اعتذار لله مطلوب ، واستغفار له مكتوب .

رابعًا : وكذلك كتب الله وحدها تفصيل وبيان :

يقول تعالى عن التوراة (مثلاً) :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ (٣٧٥) .

ويقول ﷻ :

---

374 ـ سورة (٤) النساء : ٨٣ .
375 ـ سورة (٧) الأعراف : ١٤٥ .

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٧٦) .

وهكذا يتفضل الله على عباده بالتفاصيل ضمن كتبه الكريمة .

فهل جاء موسى مثلاً بالتوراة ، وجاء الحاخامات بالسنة ؟!

أم يقال ما قاله الله تعالى من أن التوراة كان مكتوبا فيها كل التفاصيل المطلوبة .

وكذلك القرآن ؟!

خامساً : والقرآن وحده هو الحكم بين المتقين :

فقد قال ﷻ :

﴿ وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٣٧٧) .

ولكن أهل الروايات سيجدون لهم هنا متسعًا لقولهم بأن رواياتهم مما أنزل الله تعالى . حسنًا ، فما قولكم فى قوله ﷻ :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ (٣٧٨) .

وقوله ﷻ :

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ (٣٧٩) .

وقوله ﷻ :

---

376 ـ سورة (٦) الأنعام : ١٥٤ .
377 ـ سورة (٥) المائدة : ٤٩ .
378 ـ سورة (٥) المائدة : ٤٨ .
379 ـ سورة (١٣) الرعد : ٣٧ .

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ **(٣٨٠)** .

فها قد ربط الله حكمه بالكتاب المفصل ، فهل يفقه أرباب العمائم واللحى ، أم على قلوب أقفالها ؟!

سادساً : وكتب الله السابقة وحدها هى الحكم بين المتقين :

فقد قال تعالى عن كتبه عمومًا :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ **(٣٨١)** .

ويلاحظ الناصح أن الله تعالى لم يقل : (وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكُتُبْ) .

وإنما قال منزل الحق :

﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ ﴾ .

ليدلل على أن كتبه سبحانه وإن نزلت على أشخاص عدة ، فى أزمنة متفاوتة ، لأمم مختلفة ، إلا أنها كلها كتب واحدة ، متماثلة ، ومتشابهة ، مع اختلاف فى غير مسائل الإيمان والإسلام . وهو تصديق لقوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ **(٣٨٢)** .

ويقول تعالى :

---

380 ـ سورة (٦) الأنعام : ١١٤ .
381 ـ سورة (٧) الأعراف : ١٤٥ .
382 ـ سورة (٤) النساء : ٢٦ .

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ ﴾ **(٣٨٣)** .

ويقول ﷻ :

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ **(٣٨٤)** .

إذن فالحكم لله تعالى من كتبه التى أرسلها للأمم السابقة ، ومن القرآن فى الأمة الخاتمة ، ولكن القوم قالوا : الحكم لله تعالى من رواياتنا ، فكيف سيكون ذلك مع ما نقلناه من قول الله هنا ؟!

وكيف (مثلاً) سيرسل الله رسوله بكتابه وفيه حكم جلد الزانى ، ثم يكون المطلوب من الناس هو تأويل الآيات بشكل فاسد ليحيلوا المرجعية إلى الروايات ، ثم بعد تحويل المرجعية يكون الحكم هو الرجم المفترى ، وسنرى كيف أنه فيه ما فيه عند مناقشته ؟!

وإنما يستقيم الأمر بتكاتف الآيات مع بعضها البعض ، ليكون الحكم للكتاب ، المحكم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى هو تفصيل وتبيان كل شيء .

وكذلك الحال مع كتاب الله فى كل زمان وكل مكان .

سابعًا : والقرآن وحده السبيل لتحقيق التقوى :

فقد قال ﷻ :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى

383 ـ سورة **(٥)** المائدة : ٤٤ .
384 ـ سورة **(٥)** المائدة : ٤٧ .

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ ﴾ **(٣٨٥)** .

ليُبَيِّن سبحانه ما هو البر ، ومن هم المتقون ، وبالطبع فلن تأتى تفاصيل تقول لكل واحد كم يُفْتَرض أن يُعطى للسائل حين يجده ، وكذلك ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وفى الرقاب . إذن فقد تُركَ هذا الأمر لتقدير كل واحد بحسب ما يحركه إيمانه ورغبته فى التقرب إلى الله تعالى . وإن جاءت الآيات تحث على الإنفاق فى سبيل الله وتبين أن ما سيُنفق فى سبيله تعالى فسيكون ذخرًا للمُنْفِق عند ربه يوم يلقاه . ويمكن أن نرى نفس الشيء فى الإنفاق عمومًا ، وأنه مرتبط بسعة المنفق ، دون تحديد لنسب إخراجه ، ودون ضرب زمان لأدائه .

ثامنًا : والقرآن وحده هو الصراط المستقيم :

فشريعة الله تعالى هى الصراط المستقيم ، وهى الطريق الوحيد إلى الله، ولذا أخذ إبليس على عاتقه إقعاد هذا الصراط :

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ **(٣٨٦)** .

ويصل إبليس إلى هذا الإقعاد بأن يوحى هو وشياطينه لأوليائه ما يتم به هذا الإقعاد :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ **(٣٨٧)** .

وينتج من هذا التعاون بين الفريقين نشأة زخرف القول ، وهو

385 ـ سورة (٢) البقرة : ١٥٩ .
386 ـ سورة (٧) الأعراف : ١٦ .
387 ـ سورة (٦) الأنعام : ١١٢ .

الافتراء على الله ورسوله وكتابه (المذكور بالآية) ، ليتم بعد ذلك مجادلة المتمسكين بالكتاب بزخرف القول هذا :

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ **(٣٨٨)** .

ولله الحكمة البالغة فى إثبات هذا الافتراء ، وذلك لكى تتوافر عناصر الامتحان ، ويتم الاختيار الحر ، الذى يمتاز به الناس إلى مؤمن، وكافر ، ومشرك ، ومنافق ، وفاسق . . الخ .

وقد بَيَّنَ سبحانه أنه هو الذى يُثبت ما يُلقيه الشيطان لأوليائه ، فقال ﷻ :

﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ **(٣٨٩)** .

والنسخ هو الإثبات ، وليس كما قال فقهاء الرواية إن معناه المحو . ولو كان معناه المحو فهل كان الله تعالى سيقول إنه يمحوه ليجعله فتنة ؟!

إذن فكتاب الله هو الصراط المستقيم الذى يدعو المصلون كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل أن يهديهم الله إياه ثم ينصرفون عنه للروايات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ويقول ﷻ :

﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ **(٣٩٠)** .

ويقول تعالى :

﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ

388 ـ سورة (٦) الأنعام : ١٢١ .
389 ـ سورة (٢٢) الحج : ٥٢ .
390 ـ سورة (٦) الأنعام : ١٢٦ .

رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٣٩١) .

فبَيَّن سبحانه أن الكتاب هو الذى يهدى إلى الصراط المستقيم .

ويقول تعالى :

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٣٩٢) .

وهو استمرار فى بيان أن الكتاب هو الذى يهدى إلى الصراط المستقيم.

ويقول ﷻ :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (٣٩٣) .

وهو تحذير قوى للأمة بأن تتبع كتاب الله الذى هو الصراط المستقيم، وإلا فإن البديل سيكون هو السبل التى ستتفرق بهم عن سبيل الله ، وبرغم هذه التحذيرات فالدبة ما زالت تشج رأس صاحبها بالحجر بدعوى قتل الذبابة .

إلا أن يقول الروائيون إن مذاهبهم هى الصراط المستقيم ، وإن الكتاب وحده هو السبل !

وقال تعالى :

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣٩٤) .

فما هو الذى أُوحى إليه ﷺ ، وأُمِر بالتمسك به ليكون على الصراط المستقيم ؟!

---

391 ـ سورة (١٤) إبراهيم : ١
392 ـ سورة (٣٤) سبأ : ٦ .
393 ـ سورة (٦) الأنعام : ١٥٣
394 ـ سورة (٤٣) الزخرف : ٤٣

تاسعًا : والقرآن وحده هو الموحى إلى النبى ﷺ :

يقول جلّ فى علاه مبينًا أن رسالة النبى ﷺ ووحيه هو القرآن :

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ **(٣٩٥)** .

فها هو الوحى كان بالقرآن ، ولا شيء معه .

ومثله قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ **(٣٩٦)** .

فهو ﷺ يتبع الوحى وهو القرآن المطلوب تبديله ، ويقول ﷻ :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ ﴾ **(٣٩٧)** .

ويقول :

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ **لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَانِ ﴾ **(٣٩٨)** .

ولو كان هناك وحى بخلاف القرآن لتلاه النبى ﷺ بجانب القرآن تصديقًا لقوله تعالى بالآية ، ولكن هذا لم يحدث .

ويقول تعالى :

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا

---

395 ـ سورة (٦) الأنعام : ١٩ .
396 ـ سورة (١٠) يونس : ١٥ .
397 ـ سورة (٦) يوسف : ٣ .
398 ـ سورة (١٣) الرعد : ٣٠ .

لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ (٣٩٩) .

ولو كان هناك وحى بخلاف القرآن لدخل فى نطاق الآية ، ولكان هدف الكفار هو فتنة النبي عن السنة (الواردة بالروايات) والكتاب . وذلك ليفترى ﷺ غيرهما .

ويقول ﷻ :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٤٠٠) .

ويقول أيضًا :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٠١) .

إذن فالذى أُوحى للنبى ﷺ كما طالعنا بالآيات هو القرآن . ويكون معنى قوله ﷻ (فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم) هو : فاستمسك بالقرآن إنك على صراط مستقيم . إذ إنه لم يؤت ﷺ غيره.

عاشرًا : وكتب الله وحدها هى الموحاة إلى الأنبياء :

ولنتناول فقط ما أُوتى موسى عليه السلام ، يقول تعالى :

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٤٠٢) .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ (٤٠٣) .

---

399 ـ سورة (١٧) الإسراء : ٧٣ .
400 ـ سورة (٤٢) الشورى : ٧ .
401 ـ سورة (٤٢) الشورى : ٥٢ .
402 ـ سورة (٢) البقرة : ٥٣ .
403 ـ سورة (٢) البقرة : ٨٧ .

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى **الْكِتَابَ** تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ **(٤٠٤)** .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى **الْكِتَابَ** فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ **(٤٠٥)** .

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى **الْكِتَابَ** وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ **(٤٠٦)** .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ **الْفُرْقَانَ** وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾ **(٤٠٧)**.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى **الْكِتَابَ** لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ **(٤٠٨)** .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى **الْكِتَابَ** وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ **(٤٠٩)**.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى **الْكِتَابَ** مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ **(٤١٠)** .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى **الْكِتَابَ** فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيل ﴾ **(٤١١)** .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ **(٤١٢)** .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ *

---

404 ـ سورة (٦) الأنعام : ١٥٤ .
405 ـ سورة (١١) هود : ١١٠ .
406 ـ سورة (١٧) الإسراء : ٢ .
407 ـ سورة (٢١) الأنبياء : ٤٨ .
408 ـ سورة (٢٣) المؤمنون : ٤٩ .
409 ـ سورة (٢٥) الفرقان : ٣٥ .
410 ـ سورة (٢٨) القصص : ٤٣ .
411 ـ سورة (٣٢) السجدة : ٢٣ .
412 ـ سورة (٤١) فصلت : ٤٥ .

وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ **(٤١٣)** .

● إذن فالمنصوص عليه مرارًا وتكرارًا هو الكتاب ، ولم يقل سبحانه ولو مرة واحدة :

إن هناك وحياً آتاه لموسى بخلاف الكتاب ، ولذا فقد كان هو المورث للخلف :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ . . ﴾ **(٤١٤)** .

ويقول ﷻ :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ **(٤١٥)** .

ويقول ﷻ :

﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ **(٤١٦)** .

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ **(٤١٧)** .

● ولم يُذْكَر ولو مرة واحدة أن هناك ميراثًا بخلاف الكتاب سيُتْرَكُ للخلف . وبرغم ذلك فالقوم يروجون لأكاذيبهم التى تلوث وتسيء للدين، وتدخل فيه ما ليس منه .

حادى عشر : والقرآن جُمِعَ فى أيام الرسول ﷺ :

فالقرآن هو كتاب الله غير القابل للتحريف أو التبديل أو أن يطاله أى باطل ، يقول ﷻ :

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ

413 ـ سورة **(٣٧)** الصافات : ١١٧ .
414 ـ سورة **(٧)** الأعراف : ١٦٩ .
415 ـ سورة **(٣٥)** فاطر : ٣٢ .
416 ـ سورة **(٤٠)** غافر : ٥٣ .
417 ـ سورة **(٤٢)** الشورى : ١٤ .

. . ﴾ **(٤١٨)** .

ويقول ﷻ :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ **(٤١٩)** .

● ومن البديهي أن هذا الحفظ استلزم جمعه فى حياة الرسول ﷺ على ما هو عليه الآن بين أيدى المسلمين فى كل مكان وزمان ، ومصداق ذلك قوله سبحانه :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ **(٤٢٠)** .

وهو يعنى أن الكتاب لم يكن مجموعًا بعد ، وأن جمعه سيتم بالله تعالى (عَلَيْنَا) . ولو حدث كما يزعمون بعد موت النبى للزم أن يكون هناك وحىّ ممتد بعد موته ﷺ .

● ثم إن الله تعالى قد قال بعدها للنبى (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ) وهو بعد الجمع (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) والذى يتضح منه أنه ﷺ قد اتبع القرآن بعد جمعه وقرآنه. وكل ذلك واضح بالتفصيل فى كتابى " **استحالة جمع الإنسان للقرآن** " .

فهل يصلح أن يقول الله لنبيه : إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه (بعد جمعه) فاتبع قرآنه ، ثم يُقال : إنه ﷺ مات قبل جمعه **(٤٢١)** ؟!

---

418 ـ سورة (٤١) فصلت : ٤١ ـ ٤٢ .
419 ـ سورة (١٥) الحجر : ٩ .
420 ـ سورة (٧٥) القيامة : ١٧ .
421 ـ وقد روى البخارى تفسيرًا عجيبًا للآية ، فقال : " **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ قَالَ جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ** " ، فجعل الجمع هو جمعَ فى الصدر! ثم ناقض نفسه بعدها وقال إن الجَمع هو الجمع المعروف ، وهو جمع الشيء المفرق ، فقال (ولا حول ولا قوة إلا بالله) :
" **وَقَوْلُهُ تَعَالَى : إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** تَأْلِيفَ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، فَإِذَا جَمَعْنَاهُ وَأَلَّفْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أَيْ مَا جُمِعَ فِيهِ **فَاعْمَلْ بِمَا أَمَرَكَ وَانْتَهِ عَمَّا نَهَاكَ اللَّهُ** " ! !

بل الواضح هو أن القوم بعيدون عن نصوص الآيات ، قريبون للحواديت والقصص مهما كان مخالفتها للقرآن الذى بَيَّنَ سبحانه فيه أنه كان موجودًا بكامله أيام الرسول ﷺ فى غير ما موضع ، وذلك كما قال سبحانه :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ **(٤٢٢)** .

والسؤال هنا هو : كيف سيقول الله تعالى (فى حياة الرسول) لأهل الكتاب : إن الكتاب قد جاءهم بينما سيتم جمعه بعد وفاة الرسول ﷺ ؟! !

وقال ﷻ :

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ **(٤٢٣)** .

والذى يبين نَصًّا أن النبى كان يُعَلِّمُ المسلمين أيامئذ تلاوة القرآن ، ويعلمهم الكتاب ككتابة ، وحفظ ، وكل ما يتعلق به ، وما فيه من حكمة . فكيف سيعلم الرسول الناس الكتاب بينما الكتاب لم يتم جمعه بعد ، وإنما سيتم الجمع بعد موته ﷺ كما زعموا ؟! !

وعلى كلام أهل الحديث فسيعلمهم النبى ﷺ كتابًا معدومًا أيامئذ ، مفرقًا فى الرقاع والأكتاف والعسب !

- إذن فالمؤمنون بالقرآن وحده يؤمنون بكلام ربهم الواضح والذى يفهمون منه أن كتابه موصوف بالعزة ، ولا يأتيه جنس الباطل بكل أنواعه ، من بين يديه ولا من خلفه . كان فى أول أمره ذكرًا يُتلى ، ثم حفظه الله تعالى بالكتابة فصار كتابًا ، ثم انتشر فى كل زمان : من أيام الرسول ﷺ إلى يوم القيامة .

422 ـ سورة **(٢)** البقرة : ٨٩ .
423 ـ سورة **(٢)** البقرة : ١٥١ .

● وبالتالى فإن المؤمنين بالكتاب وحده يتنزه عندهم كتاب ربهم أن يكون قد أُلغى أو ضاع منه آيات ، أو كلمات ، أو حرف واحد حتى . إذ كيف سيؤمنون بقول ربهم بحفظه من الباطل ، ثم يخالفون قوله سبحانه لأقوال أعراب افتروا على الله الكذب ، وهم من أجهل الخلق بكتاب الخالق ؟!

● والمؤمنون بالكتاب وحده يُصَدِّقون قول الله تعالى عن المؤمنين الصالحين من صحابة رسول الله ﷺ :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ **(٤٢٤)** .

● **ولا يُصَدِّقون** أبدًا أن هؤلاء المؤمنين الصالحين من صحابة رسول الله ﷺ **يصنعون مصاحفًا مختلفة** فى عدد السور ، والآيات ، والكلمات . **وأن منهم** من يحك المعوذتين من القرآن ، **ومنهم** من يضيف كلامًا خائبًا على أنه من الكتاب كقولهم بسورتى الحفد والولاية . **ولا يُصَدِّقون** أن كتاب ربهم تم إثباته بشهادة شاهدين ، وشاهد واحد أحيانًا ، وأن الماعز أكل بعض آى الكتاب ، وأن الكتاب ظل سنوات وهو نسخة واحدة وناقصة ، ثم بعد ربع قرن صار أربع أو خمس نسخٍ ، وأنه ظل أكثر من نصف قرن بدون نقطة واحدة .

● والمؤمنون بالكتاب وحده يرثون لحال المؤمنين بالقرآن وغيره عندما يذكرون النصوص المضحكة للآيات المفتراة التى زعموا حذفها من القرآن ، ولا يجدون فرقًا بينهم وبين معربدة الإنترنت الذين يفعلون

424 ـ سورة (٤٨) الفتح : ٢٩ .

نفس الشيء ، ويزعمون أنهم قادرون على تأليف آيات تضاهي آيات الكتاب .

● والمؤمنون بالكتاب وحده يتعجبون من تصديق المؤمنين بالكتاب وغيره أن قولاً مثل :

أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا

هو مما أنزله الله بقرآنه ، وأن له نفس مذاق وبلاغة وإحكام آيات الكتاب !

ويتعجبون من تصديق المؤمنين بالكتاب وغيره أن قولاً مثل :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فَنَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "

هو مما أنزله الله بقرآنه ، وأن له نفس مذاق وبلاغة وإحكام آيات الكتاب !

وهاتان الآياتان المكذوبتان (وغيرهما مما سنسوقه لاحقًا بتفصيل) هما مما U !!

فيتساءل المؤمنون بالكتاب وحده عن القيمة الحقيقية للأسانيد الصحيحة فى ظل هذه الأكاذيب ؟!

● والمؤمنون بالكتاب وحده يتلون قول ربهم :

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ **(٤٢٥)** .

فيرتشفون من محل الصدق رحيق الأمثال ، ويعلمون أن درب المعرفة منه طويل ويحتاج إلى وقت وتدبر ، فلا وقت عندهم يضيعونه فى البحث فى أحوال الرجال ، والنساء ، بل وفى أحوال النقاد أنفسهم

425 ـ سورة **(٣٩)** الزمر : ٢٧ ـ ٢٨ .

الذين اتضح أن بعضهم معيوب حتى عند أهل الروايات أنفسهم .

وسنكتشف فى نهاية بحثنا هنا كيف أن القرآن وحده مجردًا وبعيدًا عن التأثر بركام الرواة والمذاهب هو كتاب سهل مُيَسَّر، مفهوم مُفَسّر ، لا كما صوره المؤمنون به وبغيره من كونه يحتاج فى فهمه إلى منثورات مذاهبهم ، ولنا قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ **(٤٢٦)** .

وبالطبع فإن ما ذكرناه هنا عن عقيدة المؤمنين بالقرآن وحده لا يروق لأهل الروايات ، لأنهم يتعيشون برواياتهم ومذاهبهم ، ولا يروق من هم أمثال زكريا بطرس لأنهم يعتمدون فى هجومهم على الإسلام على الروايات الرائجة عند أهل السنة وأهل الشيعة ، والتنصل منها يعنى أنهم لن يجدوا شيئًا يتكلمون به فى الدين الإسلامى سوى جهلهم بالقرآن ، والذى سنوضحه لهم رويدًا رويدًا مع كل كتاب صادر فى هذه السلسلة .

إن الإسلام دين الله ، وهو دين متين ، وكتابه من الإعجاز والقوة بحيث لم يجد الطاعنون فيه إلا ما أحاطه به الكذابون من روايات تدل ـ إن دلت على شيء ـ على جهل وسطحية الجميع .

وبهذا ننتهى من فصلنا هذا ، ولنبدأ على بركة الله الفصل التالى فى بيان اعتقاد أهل السنة وأهل الشيعة فى النسخ .

426 ـ سورة (٥٤) القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .